نظر اجمالي

في متحف بيروت اللبناني الاثري

بقلم ابرهيم افندي معوّض

سكرتير دار كتب والآثار في لبنان الكبير

مقدمة

انَّ متحف بيروت الاثريّ بما يحتويه اليوم من مجموع الآثار الفنيَّة القديمة الراقية الى عهد الفينيقيين واليونان والرومان والبوزنطيين قد أصبح مجلبةً لانظار العلماء الاوربيين والاميركيين حتى لا يكاد يمرّ علينا اسبوع إلَّا نرى زوّارهم يتقاطرون لمشاهدة ما في هذا المتحف من جميل الآثار. ولا ريب انَّ وجودهُ كان من أدعى البواعث لعقد المؤتمر الاثري الاخير في ربوعنا في شهر نيسان. فرأينا المؤتمرين يستثرون كل مصنوعات هذا المتحف بشوق عظيم ليذكروهُ في منشوراتهم عند رجوعهم الى مواطنهم

فان كان هذا المتحف حليةً لمدينتنا بيروت فيجمل بنا نحن الوطنيين ان نحيط علماً بهذه الآثار ونستفيد منها لمعرفة تاريخ بلادنا ومفاخر اجدادنا لئلَّا يكذب فينا المثل ان صاحب البيت ادرى بما فيه

والجدير بنا في بدء كلامنا ان نرفع آيات الشكر الى مقام دولة الانتداب الجليلة التي منذ اوَّل استلامها ازمَّة تدبير امورنا على عهد الجنرال غورو فكَّرت في جمع آثار البلاد لئلَّا تأخذها يد الضياع فتزين بها عاصمة لبنان وترغب السيَّاح في القدوم الى زيارتها. وقد اختارت لذلك معهد المعلمات الالمانيَّات المعروفات بالدياكونيس فخصَّت قسماً واسعاً منهُ لتُعرض فيهِ الاثار القديمة بصفة متحف لكنهُ اليوم قد اصبح ضيقاً لكثرة ما أودع فيه من المكتشفات الفنيَّة. والامل معقود على انَّ هذه الآثار ستُنقل الى ردهات

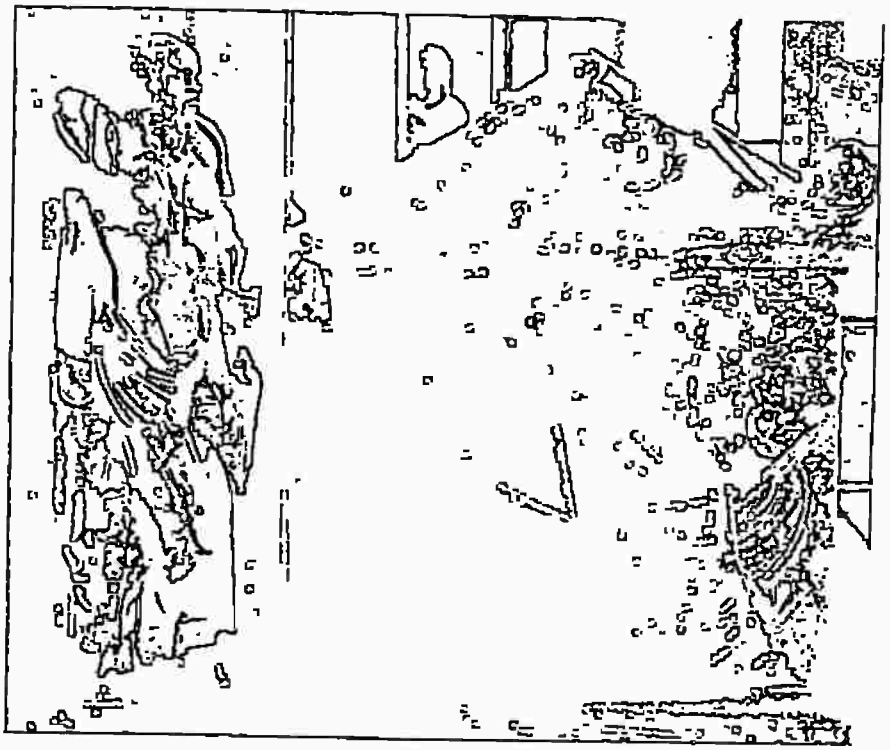

الرقم ١
صورة مركب فينيقي من العهد الروماني

رقم ٢
صورة لاله سيلين

اوسع وأليق بها فيقصدها القاصي والداني ليسرحوا فيها الابصار ويتخذوا منها دروساً مفيدة توقفهم على اخبار سالف الاعصار

ولستُ في كلامي الحاضر عن متحف الآثار التحرّي التدقيق في الوصف فانّ ذلك يقتضيه درسٌ عميق مدقّق يقوم به اختصاصيّون رسميّون وانّا اكتفي بان أشير الى محتوياته اجمالاً مع بعض المعلومات القريبة من فهم القرّاء

*

يضمُّ المتحف اللبناني كتلةً من الآثريات التي أمكن نقلها مما وجد في أدوار الحفريات التي أجرتها مستشاريةُ الاثار والفنون الجميلة في المفوضية العليا سنة ١٩٢٠. وسنذكر بين هذه القطع عدداً منها عثرت المفوضية عليه صدفةً مع ما اشترته حكومة لبنان الكبير من مالها الخاص

المتحف مؤلّف في حالته الحاضرة من ستّ غرف كبيرة كلها مجهّزة عدا عن الآثريات المودعة في بناية الديا كونيس — حيث هو الآن — واروقتها الخصُّ بالذكر منها اثني عشر ناووساً مع عدد وافر من النقوش الجميلة وقواعد الهياكل والاعمدة التي وجدت في صيدا وضواحيها

قد خُصّصت الغرف الثلاث الاولى لآثار الاعصر المتراوحة بين الجيل السادس قبل المسيح حتى الفتح العربي. على ان اكثر موجوداتها يرجع بها العهد الى ايام القياصرة يوم كانت سوريّة ولاية رومانية اعني من السنة ٦٤ قبل المسيح الى اواخر القرن الرابع بعده

الغرفة الاولى

١ في مدخل هذه الغرفة ناووس جميل من الحجر الحبّب المعروف بالرخام الابرش نُقش في احدى جهاته مركب فينيقي آية في الصنع والاتقان. وانما يزيد على قيمته التاريخيّة ما يُستفاد من صوره عن كيفيّة تدبير اللاّحة الفينيقيين لمراكبهم الشراعيّة في عهد القياصرة والرسم ظاهر بصورة جليّة فترى المركب وحبالهُ ملقاة الى البحر حيث تتقاذفها الامواج (اطلب الصورة رقم ١). ووُجد هذا الضريح في صيدا

مع ناووس آخر مزين بنقش ثلاثة نسور جبابرة ذوات مخالب قوية تحمل في منقارها اكليلاً من الازهار والاثمار

٢ قطعة كبيرة من الرخام الابيض لكنها ويا للاسف مشوّهة تمثل وليدةً في مأتم وقد ظهرت فيها السيّدة المائتة وهي تعالج الحياة على فراش الاحتضار . وخادمتها مُسْرعة نحوها لتمدّ اليها يد المساعدة . وقد ظهر في اسفل الرسم كلب البيت الصغير قلقاً مضطرباً لهذا المشهد وهو يرفع نحو سيدته نظرةً اخيرة (اطلب الصورة رقم ٢)

٣ نقش جميل يمثل اله الشمس راكباً على جواد المُنير . يرتقي عهد هذا الاثر الى الجيل الثاني او الثالث بعد المسيح

٤ مذبح كرّسهُ انطونيوس بيُوس للاله المشتري وُجد في الهرمل . ثم مذبح اخر كرّسه رجلٌ مجهولٌ للاله نفسه عُثر عليه في مدينة جبيل (اطلب الصورة رقم ٣)

٥ تقدمة للامبراطور اسكندر ساويروس يصل عهدها بالسنة ٢٣٠ بعد المسيح ظهرت في الصالحيّة على ضفّة الفرات

الغرفة الثانية

١ بين فرائد القطع الجديرة بالذكر في هذه الغرفة غطاء ناووس من الفسيفساء عُثر عليه في علمان في ضواحي صيدا ويمثل في وسطه مائتين وهما رجل وامرأة تتطلع صورتهما جليّاً في الرسم وسحنتها اشبه بسحنة المصريين او هي على شبه التصاوير المصنوعة بالفسيفساء البوزنطيّة يرقى الى القرن الثالث بعد المسيح

٢ نقشٌ من العاج يمثل الامبراطور سبتيم سيفيروس محاطاً بكاهنات المعبود باخوس . وقد ظهرت على محيا الاله سيماء الغضب والتأثير . وهذا النقش الجميل هو من آثار عصر الانقلاب اليوناني الشهير يوم دانت البلاد لسلطة قياصرة رومة (اطلب الصورة رقم ٤)

٣ آثار مدافن طرابلس : وجد في هذه المدافن كمّيّة وافرة من الحرف الطلي بينها رأس خنزير مزيّن في جبهته العليا بثلاثة رسوم يونانية تمثل شبّاناً ايامبون بكرة اليد

٤ آثار هيكل اشمون في صيدا : في بقايا هذا الهيكل عثروا على قطع

رخاميَّة مع قواعد اعمدة على شكل ثيران مضجمة يرتقي عهدها ولا ريب الى عهد الفرس . وقد وجد الباحثون في نفس الهيكل عدة تماثيل صغيرة بشكل اطفال بعضهم عُراة والبعض الاخر جالسون وبيد كل منهم عصفور صغير . والمرجَّح ان هذه التماثيل هي تقدمة للاله اشمون الطفل اله الصيَّخة يقرِّبها الصغار الذين انقذهم من مخالب الموت . . . وهي تُعتبَر كمثال جميل من نقش مدرسة سكوپاس (Scopas) الشهيرة في القرن الرابع قبل المسيح تشهد على طول باع معاصريها في هذا الفن الذي انتشر انتشاراً عظيماً في مدينة صيدا قبل فتح اسكندر المكدوني . على اننا لا نعلم بتأكيد أكان الحفَّارون من الفينيقيين الذين اشتغلوا تحت نظارة اليونانيين ام كانوا يونانيين احضرتهم السلالةُ المالكة خصيصاً لهذا العمل ؟

الغرفة الثالثة

عرضت في هذه الغرفة الاثار التي وُجدت في دَوْر حفريَّات سنة ١٩٢٤ بالقرب من مدينة صيدا في مدافن الرويسة ولبعة والقرية . ويتصل عهد هذه المدافن بالفي سنة قبل المسيح وهي تُعَدُّ كأقدم اثر عُرف لأهل فينيقية الجنوبية حتى اليوم . لان الحفريات التي جرت في مدينة صيدا نفسها على الرغم من اتساعها والتنقيب التواصل الذي بدأ فيها منذ ستين سنة الى الان لم تعطِ اثرًا واحدًا يرجع به العهد الى ما قبل زمن الفرس (اي بين القرن السادس الى الرابع قبل المسيح)

اما الموجودات في هذه الغرفة فهي كما يأتي :

١ ستمائة اناء خزفي معظمها سالمة يُرجَّح انها من صنع الفينيقيين انفسهم او محمولة اليهم من جزيرة قبرس . بينها اناء متقن للغاية صُنع على شكل مربَّع يؤكد علماء الاثار انه من اقدم مصنوعات الفينيقيين الخزفية التي تعتبر نادرة جدًا . ويوجد اناء واحد فقط يشبهه وهو في متحف لوندرة اشترتهُ الحكومة الانكليزية بمبلغ وافر

٢ نحو من ثمانين خنفسة اثريَّة (Scarabées) بعضها مزين بالحروف الهيروغليفيَّة والبعض نُقش عليها رموز عن المصنوعات المصرية

٣ بضع عشرات من الاسلحة والأدوات النحاسية المستعملة في ذلك العهد

٤ ختوم أسطوانيّة الشكل صُنعت من حجر الدم واللازورد على النمط البابلي او الاشوري الحقّ

٥ كتابة فينيقية وجدت في هيكل اشمون سنة ١٩٠٢ في بستان الشيخ ضراحي صيدا تؤيد بنيان هذا الهيكل في عهد الملك بُدعَشترت حفيد الملك اشمنعزر الذي ملك على صيدا في القرن الرابع قبل المسيح (الطلب المشرق ٦ [١٩٠٣]: ١٨٣ — ١٨٦)

٦ نقشان وجدا في قصر كَبَرَة بن هدياني في رأس العين عند وادي الخابور

٧ تمثال صغير لمعبود اكتشفوهُ في تلّ النبي مَنْد على ضفاف العاصي

وخلاصة القول انّ بيان الاثريّات السابق ذكرها المكتشفة في صيداء يساعد على جلاء غوامض التاريخ الغابر لهذه البقعة الجميلة التي عُرفت بحضارتها والتي لها شأنها وعلاقاتها مع ارقى المدنيّات المجاورة والشاهد على ذلك ما بَقي في ضواحيها من الآثار العريقة في القدم

وفي قسم من هذه الغرفة الثالثة كثير من آثار جبيل ومدافنها

آثار جبيل

واعجب من هذه الاكتشافات الآثارُ الفخمة التي وُجدت في مدينة جبيل الشهيرة كيف لا وقد احدث ظهورها رنّة اعجاب واستحسان في عالم الفنّ لم يسبق لها مثيل لانها من اقدم الآثار تاريخاً وأدقها صناعةً واجملها منظراً واعزّها مثالاً. يُستنتج منها انه كان مراعاة مصر في مدينة جبيل قاعدةُ إمارة بسطت سيطرتها من شواطئ البحر المتوسط حتى سورية الشمالية فبلاد ما بين النهرين. ويستدل ايضاً منها على وجود علاقات بين الحضارة الفارسية والحضارة المصرية المعروفة بذلك العهد باسم الفرعون ميئس. ولا يخفى ان تحقيق وجود تلك العلاقات وطريقتها قبل ظهور آثار جبيل كان من اشقّ الامور فقد اصبحت بعدها كشاهد راهن على ان هذه المدينة كانت كحلقة وَصل بين البلدين طيلة الفي سنة متوالية. ودونك اخصّ هذه الاثريّات:

١ اناء من الحجر الشفاف الابيض حُفر عليه اسم ميسارينوس مؤسس الهرم

الثالث في الجيزة . ثم يتلوه حتٌ رخامي جميل الصنع باسم اوناس احد قراعنة السلالة الخامسة مع بعض تماثيل صغيرة على شكل قرود مزينة برموز تشير الى الفرعون بيبي (Pépi) الثاني رابع ملوك السلالة السادسة الذي ملك على مصر ستين طويلة

٢ نقشٌ انيق وُجد في هيكل بَعلة جُبَيل يمثل الملك مقدماً القرابين للإلهة إيزيس ويرتقي عهده الى القرن الخامس والثلاثين قبل المسيح

وقد عثر العالم الاثري المسيو مونته اثناء حفرياته في هيكل عشتروت او إلهة جبيل على جرَّة كبيرة ضمنها كنز فريد من الجواهر والتماثيل منها ما صِيغ من الذهب ورُصِع بالحجارة الكريمة ومنها ما صُنع من الفضة القديمة والبرنز فيخال الناظر اليها لاول وهلة انها من آثار وادي النيل حُملت الى امارة جبيل . والمرجَّح انَّ اكثرها من صنع الفينيقيّين صاغوها على النمط المصري وهذا بيانها :

(اوّلاً) قلادة ذهبيَّة مرصَّعة بالزمرُّد الازرق وحجر الدم . على كلتا جهتيها اليمنى واليسرى رسمُ الفرعون المالك وبيده صولجانه . امَّا وجود رسمين للفرعون نفسه على القلادة فدلالة انه كان يملك على مصر القسومة في ذلك العهد الى مقاطعتين : مصر العليا اي الصعيد ومصر السفلى

(ثانياً) قطعة فريدة مستديرة يرجَّح انها كانت تعلق على الصدر كعلامة امتياز او شرف هي من الذهب الخالص مترّلة بالجوهر رُسمت في اعلاها صورة الخنفسة رمز الملكة الفينيقية وفي اسفلها صورة النسر اشارة الى المملكة المصرية . وبين الرمزين اسم الفرعون الذي اهداها الى ملك جبيل مع اسم الملك المهداة اليه

٣ حتٌ من الحجر البركاني الشفّاف اسود اللون مطوّق بالذهب الخالص عليه كتابة هيروغليفية (ناتنة) تُشير الى الفرعون . الذي اهداهُ الى امير جبيل

٤ صندوقة صغيرة من ذات الحجر لكنها غير شفافة محاطة مع غطائها بالذهب لا يقوى الناظر اليها عن اخفاء اعجابه بصنعها الدقيق خُطَّ عليها بالهيروغليفية اسم الفرعون مُهديها واسم الامير المرسلة اليه . وفي تاريخ مصر القديم اشارة اليها وكأنَّ المؤرّخ الذي ذكرها كان يجهل مكان وجودها ولم يخطر له ببالٍ قط انها أُرسلت الى إمارة جبيل

٥ صولجان ملك جبيل . هو مصنوع على شكل سيف صغير مكفّف الرأس

صيغ من الذهب والفضّة والنحاس وفي وسطه صورة الحيّة المرموز بها الى السلطة. وقد كُتب عليها بالهيروغليفية اسم الملك حاملها. وقد وجد ثلاثة من هذه الصوالج الملكيّة لا يزال اثنان منها في دار الآثار اما الثالث فقد اهدتهُ الحكومة الى متحف اللوفر في باريس.

٦ مُدية صغيرة مربّعة الشكل يبلغ طولها نحو عشرين سنتيمترًا، مصنوعة من الذهب والفضة

٧ شارات كانت توضع في عنق القوّاد في الحروب، وعصائب لاعين المرتى مع بعض زهرات مختلفة ورؤوس طيور واكفّ حيوانات واساور وعقود وختوم واواني للطعام كلها ذهبيّة الى غير ما هنالك من الآثار القيّمة الدقيقة الصنع

اخيرًا وذيلة اي مرآة من المعدن المصقول قاعدتها من الذهب جميلة للغاية كانوا يستعملونها في ذلك العهد قبل اكتشاف الزجاج

مدافن جبيل الملكيّة

في منتصف شهر شباط سنة ١٩٢٢ حصل في جبيل انواء شديدة هبط بسببها بعض الصخور في البقعة المطلّة على البحر التي تفصل هيكل ايزيس من قصر الصليبيّين أسفرت عن ظهور مدافن يرجع عهدها الى الفي سنة قبل المسيح واقدمها ضريح يتصل بايام امينوفيس الثالث من السلالة الثامنة عشرة الفراعنة ومع الضريح آنية مختلفة ورد ذكرها في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٣٧٩—٣٨٠). وقد ذكرت مجلّة العالم المصوّر مطولًا في احدى اعدادها الصادرة في ١٩ نيسان سنة ١٩٢٤ بعض هذه الاثريات

واعجبُ من هذا المدفن المدافن التي اكتشفها السير مرنته الراقية الى القرن التاسع عشر قبل المسيح في عهد الملكين منخمت الثالث ومنخمت الرابع. ثم اكتشافهُ في اواخر سنة ١٩٢٣ اناؤوس حيرام ملك جبيل المعاصر للفرعون رعمسيس الثاني الذي يدعوهُ اليونانيّون سيزوستريس (Sesostris). وهذا الضريح النادر المثال الذي يزين متحف بيروت تحمله اربعة اسود رابضة وهو مزيّن على جهاته الاربعة برسوم مختلفة بينها رسم حيرام نفسه وهو جالسٌ على عرشه وبيده صولجان الملك وامامه حاشيته وابناء رعيته جاؤوا ليقدموا له الهدايا. اما الغطاء فعليه صورة

اسدين لم يظهر منها غير الرأس فقط وعلى طرفيه رسم الملك لكنه ليس بجلي وقد حمل بيده زهرة من زهرات السدر (١

على ان الكتابة المنقوشة على الضريح وغطائه تُعَدّ كأقدم اثر كتابي يُعرف للحروف الهجائية الفينيقية في العالم حتى يومنا هذا وقد تناقلتها الشعوب المختلفة تباعاً ونحن نستعملها اليوم بدورنا كما استعملها اسلافنا بالامس . وما يزيد في قيمتها التاريخية انها تفوق كتابة ميشا ملك المؤابيين وتسبقها باربعة اجيال (٢ بل ارتأى العلّامة رينه دوسو انها تنفي بتاتاً كون الحروف الهجائية مأخوذة عن الهيروغليفية كما يعتقدهُ كثيرون فتثبت انها من ابتداع الفينيقيين لا سواهم . ثم على مدار الضريح بيتات وشواهد اخرى تساعدنا على معرفة تقدُّم هذه الحروف منذ عهد سيبوستوس حتى العصر الروماني (اطلب صورة ضريح حيرام الرقم ٦) . وقد ظهر في جبيل غير هذه الكتابات القديمة سبق لي ذكرها في موجودات الغرفة الاولى

الغرفة الرابعة

١ تحتوي هذه الغرفة على قسم آخر من آثار جبيل ثمَّ فيها من آثار العصور السابقة لفتوحات الاسكندر ضريح جميل من الرخام الابيض مصنوع على شكل الجسم البشري . وعلى غطائه نقش رأس انسان ظهر جلياً للغاية بشعره المسترسل المتجعد الذي لا يزال عليه قليل من الحمرة الترميزية المصبوغ بها . اما الاذن فانه مستقيم والعينان مفتوحتان يعلوهما حاجبان مقوّسان وقد لاحت على الثغر ابتسامة لطيفة (اطلب صورتهُ في الرقم ٥)

٢ على جدران هذه الغرفة صور للكتابة الحثية الشهيرة التي لم يتمكن علماء

---

١) اطلب في المشرق (٢٢ [١٩٢٦] : ٨١-٨٦ مقالة المير موته في حفريات تو روصف تلك المدافن

٢) ان كتابة ميشا كانت تعدّ أقدم أثر كتابي في العالم للحروف الهجائية قبل ظهور ضريح جبيل راجع في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٢٦) صورة هذه الكتابة واقدم الكتابات الفينيقية والارامية

الاثار من تفسيرها اما مصدرها فمن متحف آطمه الذي انشأه الكولونيل نورمان سنة ١٩١٩ (Col Normand)

اخيراً ضمت الغرفة الاخيرة نقشين عثر عليهما في وادي نهر العاصي الاول اقامه الفرعون سيتي الاول والد رعمسيس الثاني تذكاراً لانتصاره على الحثيين. والثاني عليه كتابة مسمارية اشارة لانتصار الملك سرغون ملك آشور على الامراء السوريين الذين حاربوا تحت لواء ملك حماة ويتصل عهدها بالسنة ٧٢٠ قبل المسيح

ومسك الختام حجر صغير على الشكل الاسطواني عليه كتابة هيروغليفية تفسيرها ان ملكاً مجهولاً يفتخر بكونه محبوب من آلهة جبيل ويتصل عهده بالقرن الخامس والثلاثين قبل المسيح

اما الغرفتان الخامسة والسادسة فان آثارهما لم تنظم حتى الآن فنضرب عنهما صفحاً كما اننا لم نتعرض لعدة آثار تُرى في حديقة الدار صور وللمجموعة الاثرية المنقولة من كلية الآباء اليسوعيين الى دار الاثريات

. . .

هذا وان المتحف اللبناني بل الطرفة التاريخية للعاصمة اللبنانية هو صورة ناطقة لاطوار المدنيات العديدة التي تقلبت على سورية عموماً وبنوع خاص على فينيقية منذ ابتداء التاريخ حتى الفتح الاسلامي وسوف لا يمضي ردح من الوقت حتى يتسع اتساعاً عظيماً لان الحفريات التواصلة التي بدأت منذ خمسة اعوام في سوريا — وليبلة الكبير لم تزل في اول عهدها مع ما اتت به من النتائج الباهرة. وقد تكون اثمرت اكثر من ضعف ما ان المال المرصود لها يعادل قسماً من المصاعب الموجودة في سبيل استخراجها ونكن نتا ملء الامل انه عما قريب نرى شواهد جديدة من الاثريات التي تساعدنا على جلاء غوامض تاريخ آسيا القديم. التاريخ الذي له شأن في هذه البلاد الشرقية التي كانت ملهماً لهذه او تلك من الحضارات بل مرجعاً للمدنية نفسها وباذن الله نحن واصلون

الرقم ٥ الرقم ٦

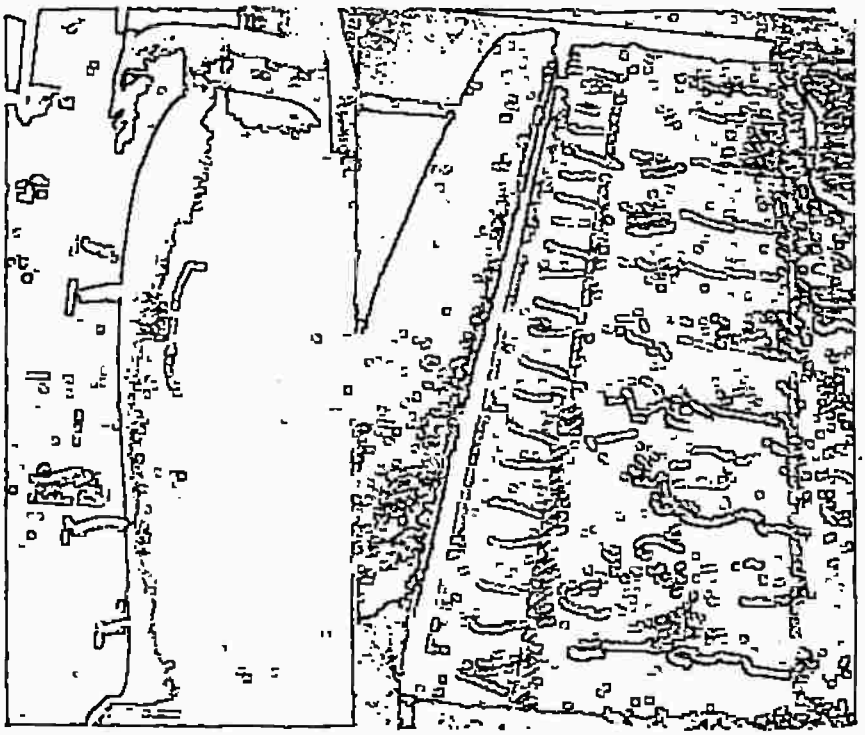

الرقم ٥ ضريح قديم يمثل شكل الجسم البشري
الرقم ٦ ضريح حيرام ملك جبيل مع كتابته الفينيقية